


الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

طبعة محققة ومخرجة الأحاديث

دار العقيدة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

رقم الإيداع: ٧٣٦٥ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي: 1 - 043 - 347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ - ف: ٠٠٢٠٢/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٢١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المحقق

الحمد لله معزِّ من أطاعه واتقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، الذى وفق أهل طاعته للعمل بما يرضاه، وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه، أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كمل به عقد النبوة، فطوبى لمن والاه وتولاه.

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه، وسلِّم تسليماً كثيراً كثيراً لا يدرك منتهاه.

**أما بعد:**

لما بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- فى الدعوة إلى العقيدة الصحيحة رأى حاجة الناس إلى جمع كتاب يتضمن أدلة التوحيد وذكر ما ينافيه، فشرع فى وضع هذا الكتاب: «**الأصول الثلاثة**».

فكتاب الأصول الثلاثة: موضوعه هو توحيد العبادة الذى بعث الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافى كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

فقد اجتهد المؤلف -رحمه الله تعالى- فى أن يستوعب فى كتابه أهم مسائل العقيدة التى يحتاج إليها الناس مع الاستدلال لها من الكتاب والسنة، وأقوال

السلف، فصار هذا الكتاب علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، فانتفع به الخلق الكثير، والجمُّ الغفير.

وقد اعتنى العلماء بهذا الكتاب، فدرسوه وكتبوا عليه الشروح والحواشي.

منهم فضيلة الشيخ/ محمد صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- فأطال النفس فى شرحه فبين مجمله، وفصل مسائله، وأسهب فى شرحه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

# ترجمة المؤلف

## شيخ الإسلام الإمام

## محمد بن عبد الوهاب

## رحمه الله تعالى

**❁ ولادته ونشأته ورحلته لطلب العلم:**

وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمى ولد فى بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض، ولد -رحمه الله- سنة 1115هـ الموافق 1703م، وكانت وفاته سنة 1206هـ. نشأ الشيخ فى حجر أبيه عبد الوهاب فى زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن معمر. فقرأ على والده الفقه كما أكثر المطالعة فى التفسير والحديث وكلام العلماء فى أصل الإسلام، وكان ذكياً حاد الفهم سريع الحفظ فصيحاً سريع الكتابة، وقد استظهر القرآن قبل العاشرة.

**❁ رحلاته العلمية:**

ثم غادر البلاد قاصداً حج بيت الله الحرام، وبعد أدائه الفريضة أم المدينة المنورة وقصد المسجد النبوى وزار إمام المرسلين ﷺ وصحابته الأبرار المخلصين.

وقرأ على بعض علماء المدينة، ومن مشايخه هناك الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف من آل سيف النجدى والشيخ على أفندى الداغستانى

والشيخ إسماعيل العجلونى، كما استفاد من الشيخ عبد اللطيف العفالقى الأحسائى والشيخ محمد العفالقى الأحسائى والشيخ محمد حياة السندى، ثم رجع إلى نجد وتوجه إلى البصرة فأقام مدة فى البصرة ودرس العلم فيها على جماعة من العلماء، منهم الشيخ محمد المجموعى، وقد قرأ عليه الكثير من النحو واللغة والحديث وغيرها.

وذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمرى الموصلى فى كتابه (غرائب الأثر) أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل وقرأ العلم على العلامة مولانا ملا حمد الجميلى وأخذ عنه الكثير، ويقال: إن المؤرخ العمرى كان معاصراً للإمام.

ثم رجع إلى نجد، ومر فى طريقه بالأحساء، وقرأ على الشيخ محمد بن عبد اللطيف الشافعى مدة من الزمن، ثم رجع إلى بلاده، وقد شاهد أحوال نجد والحرمين والعراق وغيرها من البلدان من المنكرات والشركيات والبدع والضلالات حتى عندما كان فى المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله ودعائه من دون الله، فقال للشيخ محمد حياة السندى: ما تقول يا شيخ فى هؤلاء؟ فأجابه على الفور: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

**❁ عقيدته:**

يعتقد أن الله واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، لا شريك له ولا مثيل ولا وزير ولا مشير، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، يُفرَد بالعبادة، لا يُشرك به أحد، لا ملكٌ مقرب ولا نبىٌّ مرسل، لا يفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله، ويعتقد أن محمّداً أفضلهم وخاتمهم، وأن خير الناس الصحابة ثم التابعون.

يؤمن بالقدر خيره وشره، ويبرأ مما قاله النفاة المخالفون لسبيل المؤمنين من القدرية والجبرية. ويعتقد بأفضلية الخلفاء المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ويوالي كافة أهل الإسلام وعلمائهم من أهل الحديث والفقه والتفسير، ولا سيما أئمة المذاهب الأربعة ويرى فضلهم وإمامتهم.

يؤمن بما وصف الله به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وأن الله ليس كمثله شيء وأن الله على كل شيء قدير، ويؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد يوم الحشر.

يعتقد بأن كل محدثة بدعة، وأن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنب ما لم يستحله، ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ويحكم عليهم بظاهرهم ويكل سرائرهم إلى الله.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

# ترجمة الشارح

## فضيلة الشيخ

## محمد بن صالح العثيمين

## رحمه الله تعالى

❁ **اسمه:** محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي.

❁ **كنيته:** أبو عبد الله.

❁ **مولده:**

ولد الشيخ -رحمه الله- في مدينة (عُنيزة) وهي إحدى مدن (القصيم) في يوم 27 رمضان عام 1347 هـ.

❁ **نشأته:**

قرأ القرآن الكريم على جدِّه من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ قد رزق ذكاءً، وهمةً عالية، وحرصاً على التحصيل العلمي، في مزاحمته بالركب للعلماء.

❁ **مشايخه:**

استفاد الشيخ أبو عبد الله في طلبه للعلم من عدة شيوخ، بعضهم في مدينة عنيزة، وبعضهم في الرياض عندما سكنها للدراسة النظامية، ومن الشيوخ الذين درس عليهم:

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى - الشيخ على بن حمد الصالحى - الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - الشيخ عبد الرحمن بن على بن عودان - الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ.

**❁ تلاميذه:**

لا يمكن حصر جميع من تتلمذ على الشيخ، لأنهم ازدحموا فى مجلسه - لاسيما فى السنوات الأخيرة- بما يزيد على الخمس مائة طالب فى بعض الدروس، على اختلاف مستوياتهم.

**❁ آثاره العلمية:**

لقد صنف الشيخ -رحمه الله- آثاراً علمية فى مجالات شتى، من مسموع، أو مكتوب. فى العقيدة، والفقه، والحديث، والأخلاق، والسلوك، والمعاملات، وغيرها، مما كان لها الأثر الكبير فى استفادة الناس منها، سواء على مستوى عامة الناس، أو طلبة العلم.

ومن بعض آثاره العلمية: فتح رب البرية بتلخيص الحموية - مصطلح الحديث - الأصول من علم الأصول - رسالة فى الوضوء والغسل والصلاة - كفر تارك الصلاة- مجالس رمضان - الأضحية والذكاة - المنهج لمريد العمرة والحج - تسهيل الفرائض- لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد - شرح العقيدة الواسطية - عقيدة أهل السنة والجماعة - القواعد المثلى - رسالة فى الحجاب - رسالة فى الصلاة والطهارة لأهل الأعذار - مواقيت الصلاة - سجود السهو فى الصلاة - أقسام المداينة - وجوب زكاة الحلى - تفسير آية الكرسى - الضياء اللامع من الخطب الجوامع - الفتاوى النسائية - زاد الداعية إلى الله - فتاوى الحج - المجموع الثمين - حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة - الخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه

- من مشكلات الشباب - رسالة فى المسح على الخفين - أصول التفسير - رسالة فى الدماء الطبيعية للنساء - أسئلة مهمة - الإبداع فى كمال الشرع وخطر الابتداع - إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار - رسالة فى أحكام الميت وغسله - نيل الأرب من قواعد ابن رجب «لم يطبع» - منظومة فى أصول الفقه - أحكام قصر الصلاة للمسافر «لم تطبع» - تفسير آيات الأحكام «لم يكمل» - شرح عمدة الأحكام «لم يكمل» - تخريج أحاديث الروض المربع «لم يطبع» - رسالة فى أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات «لم يطبع» - مختارات من زاد المعاد - مختارات من إعلام الموقعين - مختارات من الطرق الحكمية - مجموع دروس وفتاوى الحرم المكى - مختارات من فتاوى الصلاة - الربا: صوره، أقسام الناس فيه - نبذة فى العقيدة الإسلامية - مجموعة أسئلة فى بيع وشراء الذهب - حكمة إرسال الرسل - شرح أصول الإيمان - الشرع الممتع على زاد المستقنع - المنتقى من فرائد الفوائد - القول المفيد شرح كتاب التوحيد .... وغيرها الكثير.

**❁ مرضه ووفاته - رحمه الله - :**

توفى الشيخ يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال 1421 هـ، بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير، حتى نزل وزنه إلى 38 ك، وصارت درجة المناعة عنده صفراً، وكل من استمع إليه فى رمضان هذا العام -عام وفاته- فى الحرم يعلم ذلك، إذ كان المرض قد تمكن منه واشتد عليه أيما اشتداد.

فنسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته، وأن يعلى قدره ومنزلته، ويحشره مع الصالحين والشهداء.

* * *

بسم[1]..............................................................

(1) ابتدأ المؤلف -رحمه الله تعالى- كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله -عز وجلَّ- فإنه مبدوء بالبسملة[1]، واتباعاً لحديث «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر**»[2] واقتداءً بالرسول ﷺ ، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره: بسم الله أكتب أو أصنف. وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال. وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

**الأولى**: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

**الثانية**: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً باسم الله

---

(١) البسملة آية من كتاب الله عز وجل، يبتدأ بها في كل سورة من سور القرآن عدا سورة براءة، فإنها لا تبدأ بالبسملة، لأن الصحابة أشكل عليهم هل سورة براءة من الأنفال أم أنها سورة مستقلة؟ فوضعوا فاصلاً بينهما دون البسملة.
وفي سبب ذلك خمسة أقوال: انظرها في «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢٩٨٩).

(٢) ضعيف جداً. رواه الخطيب في «الجامع» (٢/ ٦٩)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (١/ ٦) من طريق محمد بن عمران أنا محمد بن صالح البصري نا عبيد بن عبد الواحد بن شريك نا يعقوب بن كعب الأنطاكي نا مبشر بن إسماعيل عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً.
وفي سنده محمد بن عمران ضعفه الخطيب في «تاريخه» (٥/ ٧٧) وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٣): شيعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع، وفيه محمد بن صالح البصري قال الحافظ في «اللسان»: فما علمت حاله.
وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء»: «ضعيف جداً». وللحديث طرق أخرى انظرها في «الإرواء».

**الله[١] الرحمن[٢] الرحيم[٣]** ......................................

نبتدئ ما يدرى بماذا نبتدئ، لكن بسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذى أبتدئ به.[٣]

(1) **(الله)** علم على البارى جل وعلا وهو الاسم الذى تتبعه جميع الأسماء حتى إنه فى قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ (إبراهيم: ١-٢) لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هى عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

(2) **(الرحمن)** اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة.

(3) **(الرحيم)** يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿**يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ**﴾ (العنكبوت: ٢١).

---

(٣) والباء فى قوله (بسم الله): قيل للاستعانة، وقيل للمصاحبة، وممن قال إنها للمصاحبة الزمخشرى صاحب الكشاف وهو معتزلى من المعتزلة، وكتابه الكشاف فيه اعتزاليات كثيرة قد لا يستطيع أن يعرفها كل إنسان حتى قال ابن البلقينى: أخرجت من الكشاف اعتزاليات بالمناقيش، وهذا يدل على أنها خفية. والزمخشرى رجح أنها للمصاحبة، مع أن الظاهر أنها للاستعانة! لكنه رجح المصاحبة لأن المعتزلة يرون أن الإنسان مستقل بعمله فإذا كان مستقلاً بعمله فإنه لا يحتاج للاستعانة، لكن لاشك أن المراد بالباء هو: الاستعانة التى تصاحب كل فعل، فهى فى الأصل للاستعانة وهى مصاحبة للإنسان من أول الفعل إلى آخره، وقد تفيد معنى آخر وهو التبرك إذا لم نحمل التبرك على الاستعانة، ونقول كل مستعين بشىء فإنه متبرك به لكن لاشك أن الباء تفيد البركة العظيمة أفاده فى «شرح المنظومة البيقونية» (ص ١٣-١٤).

والاسم: مشتق من السُّمُوّ وهو العلو، وقبل: من الوسم، وهو العلامة، لأن كل ما سمى فقد نوه باسمه ووسم، أفاده فى «فتح المجيد».

**اعلم[١] رحمك الله[٢] أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:[٣]**

**الأولى ـ العلم وهو معرفة الله[٤]**................................................،

(1) العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. ومراتب الإدراك ست:

**الأولى:** العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

**الثانية:** الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

**الثالثة:** الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

**الرابعة:** الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

**الخامسة:** الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساوٍ.

**السادسة:** الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري. فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

(2) **(رحمك الله)**: أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل. وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

(3) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

(4) أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد ﷺ ، ويتعرف العبد على

**ومعرفة نبيه[١]، ومعرفة دين الإسلام[٢].......................................**

---

ربه بالنظر فى الآيات الشرعية فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والنظر فى الآيات الكونية التى هى المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر فى تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢١).

(1) أى معرفة رسوله محمد ﷺ المعرفة التى تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٥١). وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩). وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

قال الإمام أحمد رحمه الله: «أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك».[٤]

(2) قوله **(معرفة دين الإسلام)**: الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك فى آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل: قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبى ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ، لأن

---

(٤) رواه عبيد الله بن بطة فى «الإبانة الكبرى» (٩٧) وانظر «مسائل عبد الله» (٣/ ١٣٥٥).

بالأدلة.[1]...............................................................

---

ما بعث به النبى ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع جميع الرسل مسلمون فى زمن رسلهم، فاليهود مسلمون فى زمن موسى ﷺ، والنصارى مسلمون فى زمن عيسى ﷺ، وأما حين بعث النبى محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين.

وهذا الدين الإسلامى هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥). وهذا الإسلام هو الإسلام الذى امتن الله به على محمد ﷺ وأمته، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

(1) قوله **(بالأدلة)**: جمع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحى وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع فى كتابه فكم من آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى.

**وأما معرفة النبى ﷺ بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى:** ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الفتح: ٢٩) الآية. وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

**بالأدلة العقلية** بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التى أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التى لا تصدر إلا عن وحى والتى صدقها ما وقع منها.[٥]

---

(٥) انظر فى بيان ذلك «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادى الوادعى -رحمه الله تعالى-.

**الثانية ـ العمل به.**[١] **الثالثة ـ الدعوة إليه.**[٢]..................................

(1) قوله (**العمل به**) أى العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله وما أشبه ذلك.

والعمل فى الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

(2) أى الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التى ذكرها الله عز وجل فى قوله: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل: ١٢٥)، والرابعة قوله: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا منهم** ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ولابد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة، لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (يوسف: ١٠٨). والبصيرة تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعى، وفى كيفية الدعوة، وفى حال المدعو.

ومجالات الدعوة كثيرة منها: الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة، وإلقاء المحاضرات، ومنها الدعوة إلى الله بالمقالات، ومنها الدعوة إلى الله بحلقات العلم، ومنها الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف، ومنها الدعوة إلى الله فى المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان فى مجلس فى دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغى أن تكون على وجه لا مللٌ فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين ثم تبتدئ المناقشة ومعلوم أن المناقشة

الرابعة ـ الصبر على الأذى فيه[1].................................................،

والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاء مرسلاً كما هو معلوم.

والدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة من تبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومنَّ الله عليه بالتوفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ إخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل وليبشر بالخير، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»[6] متفق على صحته. ويقول ﷺ فيما رواه مسلم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**».[7] وقال ﷺ فيما رواه مسلم أيضاً: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[8].

(1) الصبر: حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائماً نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أوذي، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام: ٣٤)، وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس

---

(٦) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٧) رواه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجه (٢٠٦)، وأحمد (٢/٣٩٧)، من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به. وانظر كتاب «الاعتصام» (١/٢٣١-٢٤٢)، والنووي على شرح مسلم (٧/١١٢-١١٤).

(٨) رواه مسلم (١٨٩٣)، والترمذي (٢٦٧١)، من طريق الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن أبي مسعود الأنصاري به.

النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق، بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذاً به وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها، صابراً على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل، صابراً على ما يعترض دعوته، صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وها هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات: ٥٢)، وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٣١).

ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً﴾ (الإنسان: ٢٣) كان من المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (الإنسان: ٢٤) وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**[٩] فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسباً.

**والصبر ثلاثة أقسام:**

1- صبر على طاعة الله.

2- صبر عن محارم الله.

---

(٩) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢)، وابن ماجه (٤٠٢٥)، عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله به.

**والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]** (العصر: ١-٣).

---

3- صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.[١٠]

(1) قوله «**والدليل**» أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، فأقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «جهاد النفس أربع مراتب:

**إحداها**:أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

**الثانية**:أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

**الثالثة**:أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

**الرابعة**:أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين».[١١]

---

(١٠) وهذا الترتيب من حيث هو لا باعتبار من يتعلق به، وإلا، فقد يكون الصبر على المعصية أشق على الإنسان على الطاعة إذا فتن الإنسان مثلاً بامرأة جميلة تدعوه إلى نفسها في مكان خال لا يطلع عليه إلا الله وهو رجل شاب ذو شهوة، فالصبر على هذه المعصية أشق ما يكون على النفوس. قد يصلي الإنسان مائة ركعة وتكون أهون عليه من هذا.
وقد يصاب الإنسان بمصيبة يكون الصبر عليها أشق من الصبر على الطاعة، فقد يموت له مثلاً قريب، أو صديق أو عزيز عليه جداً، فتجده يتحمل من الصبر على هذه المصيبة مشقة عظيمة، أفاده الشارح في «القول المفيد» (ص ٥٢-٥٣).

(١١) انظر «زاد المعاد» (٤/ ٢٥).

**قال الشافعي رحمه الله تعالى[١]: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.[٢]**..................................................................

---

فالله عز وجل أقسم فى هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو فى خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة:

**أحدها:** الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع.

**الثانى:** العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد ﷺ متبعاً.

**الثالث:** التواصى بالحق وهو التواصى على فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه.

**الرابع:** التواصى بالصبر بأن يوصى بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

والتواصى بالحق والتواصى بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١١٠).

(1) الشافعى هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى، ولد فى غزة سنة 150هـ وتوفى بمصر سنة 204هـ وهو أحد الأئمة الأربعة -على الجميع رحمة الله تعالى-.

(2) مراده -رحمه الله- أن هذه السورة كافية للخلق فى الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق فى جميع الشريعة.

وقوله: «**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**» لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلابد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران وذلك

**وقال البخاري رحمه الله[1] (باب) «العلم قبل القول والعمل»، والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (محمد: ١٩). فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.[2]**

---

باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

(1) البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخاري في شوال سنة أربع وتسعين ومائة ونشأ يتيماً في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في خَرْتَنْك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(2) استدل البخاري -رحمه الله- بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد، فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود.

* * *

**(اعلم) رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن. الأولى - أن الله خلقنا(1)**........................................

---

(1) ودليل ذلك -أعني أن الله خلقنا- سمعي وعقلي:

**أما الدليل السمعي:** فكثير ومنه قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الانعام: ٢) وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الاعراف: ١١) الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦)، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠)، وقوله: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: ١٤) وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) إلى غير ذلك من الآيات.

**أما الدليل العقلي:** على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥) فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤) ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧)،

**ورزقنا[١] ولم يتركنا هَمَلاً[٢]** ..........................................

---

وكان جبير بن مطعم يومئذ مشركاً فقال: «كاد قلبى أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبى».[١٢]

(1) أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل، أما الكتاب: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(الذاريات: ٥٨) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾(سبأ: ٢٤)، وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾(يونس: ٣١) والآيات فى هذا كثيرة.

وأما السنة: فمنها قوله ﷺ فى الجنين **«يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد»**.[١٣]

وأما الدليل العقلى على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٦٣ - ٧٠) ففى هذه الآيات بيان إن رزقنا طعاماً وشراباً من عند الله عز وجل.

(2) هذا هو الواقع الذى تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:

أما السمعية: فمنها قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾(المؤمنون: ١١٥-١١٦)، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ

---

(١٢) رواه البخارى (٢/ ٢٨٩).

(١٣) رواه البخازى (٤/ ٢٥١)، ومسلم (٨/ ٤٤)، وأحمد (١/ ٣٨٢- ٤٣٠)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٧٥)، (١٧٦)، من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود به.

بل أرسل إلينا رسولاً(١) ....................................................

---

أن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٦-٤٠).

وأما العقل: فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.

(١) أي أن الله عز وجل أرسل إلينا معشر هذه الأمة -أمة محمد ﷺ- رسولاً يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، كما أرسل إلى من قبلنا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر: ٢٤)، ولابد أن يرسل الله الرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٣-١٦٥)، ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين بينوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عزَّ وجلَّ فبذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلى الخلق رسلاً مبشرين ومنذرين الدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ (المزمل: ١٥-١٦).

**فمن أطاعه دخل الجنة**[1] **ومن عصاه دخل النار**[2]**، والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ (المزمل: ١٥-١٦).

**الثانية**[3] **أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨).

---

(1) هذا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٢-١٣٣)، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: ١٣)، ومن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥٢)، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١) والآيات في ذلك كثيرة.

ومن قوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار**»[14] رواه البخاري.

**(2) هذا أيضاً حق مستفاد من قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء: ١٤)، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٣)، ومن قوله ﷺ في الحديث السابق: «**ومن عصاني دخل النار**».

(3) أي المسألة الثانية مما يجب علينا علمه أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره المؤلف

(١٤) رواه البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، والحاكم (٤/ ٢٤٧).

**الثالثة -[1] أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى:﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

---

رحمه الله في قوله تعالى:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨) فنهى الله تعالى أن يدعو الإنسان مع الله أحداً، والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى، وقال الله عز وجل:﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر: ٧)، وقال تعالى:﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٩٦).

فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩)، وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه فيغضب لما يغضب الله ويرضى بما يرضاه الله عز وجل، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما. والشرك أمره خطير قال الله عز وجل:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨) وقال تعالى:﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)، وقال النبي ﷺ: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»**.[١٥]

(1) أي المسألة الثالثة مما يجب علينا علمه الولاء والبراء، والولاء والبراء أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا

---

(١٥) رواه مسلم (٩٣)، وأحمد (٣/ ٣٢٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٦٧)، من حديث جابر به.

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

---

بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾ (آل عمران: ١١٨). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٣-٢٤)، وقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤) الآية.

ولأن موالاة من حاد الله ومداراته تدل على أن ما فى قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف، لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التى تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أى يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لاشك ينافى الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن

معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق.(١٦)

(١٦) لكن لابد من التنبيه على شيء وهو أنه لابد من التفصيل فى محبة المؤمنين ونصرتهم، وفى بغضهم وخذلانهم، وفى بغض الكافرين وعداوتهم، وفى محبتهم ونصرتهم، ففى صحيح مسلم عن على بن أبى طالب رضي الله عنه، قال: «والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلىّ لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق» وفى «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

قال الحافظ فى «الفتح»: «قال ابن التين: المراد حب جميعهم وبغض جميعهم لأن ذلك إنما يكون للدين، ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له فليس داخلاً فى ذلك. وهو تقرير حسن» اهـ.

قال شيخنا فى كتابه القيم: «إعلان النكير على غلاة التكفير» (ص ١٠٥-١٠٦): «فالتفصيل فى حب المؤمنين وبغضهم أمر ظاهر تمام الظهور أن من أحب المؤمنين جملة لأجل إيمانهم فهو مؤمن وأما من أبغض مؤمناً أو طائفة من المؤمنين لأجل دينهم وإيمانهم فهو كافر كما سبق فى كلام ابن التين رحمه الله، وأما من أبغض مؤمناً أو طائفة من المؤمنين لأجل دنيا أو عصبية أو غضب لنفسه أو حسداً أو غلاً وما شابه ذلك فتلك معصية ونقص فى إيمانه حتى ولو أدى بغضه إياه إلى قتاله فلا يخرجه من الإسلام. قال الله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:٩-١٠). فسماهم الله عز وجل مؤمنين رغم وجود الاقتتال بينهم، وكذلك قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠) فجعلهم الله عز وجل إخوة رغم وجود الاقتتال بينهم، وعلى هذا أهل السنة والجماعة ولم يخالف فى ذلك إلا المبتدعة من الخوارج ونحوهم...» إلخ كلامه -حفظه الله-.

**اعلم(١) أرشدك الله(٢) لطاعته(٣) أن الحنيفية(٤) ملة(٥) إبراهيم(٦): أن تعبد الله وحده(٧)** ..........................................

(1) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادته هنا.[١٧]

(2) الرشد: الاستقامة على طريق الحق.

(3) الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور.

(4) الحنيفية: هى الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل.[١٨]

(5) أى طريقه الدينى الذى يسير عليه -عليه الصلاة والسلام-.

(6) إبراهيم هو خليل الرحمن قال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء: ١٢٥)، وهو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه فى مواضع كثيرة للاقتداء به.[١٩]

(7) قوله «**أن تعبد الله**»: هذه خبر «أن» فى قول «أن الحنيفية» والعبادة بمفهومها العام هى «التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذى جاءت به شرائعه».

أما المفهوم الخاص للعبادة -يعنى تفصيلها- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١٧) «اعلم» كلمة يؤتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها فى هذا الموضع لكل المكلفين، أفاده فى «معارج القبول» (١ / ص٤٦).

(١٨) قال الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠). فهم بفطرتهم يميلون إلى ربهم ويشتاقون إليه، ولا يقر لهم قرار إلا بمعرفته وتوحيده ومحبته وطاعته، ولا يجدون سعادة فى الدنيا إلا إذا توجهت قلوبهم وجوارحهم إلى خالقها وبارئها دون من سواه، وإنما الشقاء فى هذا العالم يرجع إلى توجيه القلوب والوجوه إلى وجهة أخرى غير ما فطرت عليه وإعراضها عن ذكر ربها، وانظر «فضل الغنى الحميد» (ص٩) لشيخنا الفاضل ياسر برهامى -حفظه الله-.

(١٩) وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بأنه كان ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠) التى هى الغاية فى تحقيق التوحيد - نسأل الله عز وجل أن نكون من أهل التوحيد الخالص، والعمل الصالح، فإنه على كل شىء قدير.

**مخلصًا له الدين![1] وبذلك[2] أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). ومعنى يعبدون: يوحدون.[3]**

---

رحمه الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة: كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة والزكاة، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام».

(1) الإخلاص هو التنقية، والمراد به أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣). وقال الله تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣٢).

(2) أي بالحنيفية وهي عبادة الله مخلصاً له الدين، أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥). وبين الله عز وجل فى كتابه أن الخلق إنما خلقوا لهذا فقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

(3) يعنى التوحيد من معنى العبادة وإلا فقد سبق لك معنى العبادة وعلى أى شيء تطلق وأنها أعم من مجرد التوحيد[20]. واعلم أن العبادة نوعان:

---

(٢٠) تفسير الماتن لقوله: «يعبدون» أي: يوحدون، هذا حق، لأن النبي ﷺ لما بعث معاذاً، قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». وفي رواية: «**فادعهم أن يوحدوا الله، فإذا هم عرفوا الله فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ...**» الحديث.

فقوله: «**فإذا هم عرفوا الله**» دل على أن من لم يوحد الله لم يعرفه وإن أقر بوجوده، وأقر ببعض أسمائه وصفاته.

**وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة.**[1] ........................

---

**عبادة كونية:** وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣) فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر.

**والثاني عبادة شرعية:** وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان، لأنه بغير فعله لكن قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

(1) **(التوحيد)** لغة: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح: عرفه المؤلف بقوله: «التوحيد هو إفراد الله بالعبادة» أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبةً وتعظيماً، ورغبةً، ورهبةً، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: «إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به».

**وأنواع التوحيد ثلاثة:**

**الأول:** توحيد الربوبية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك والتدبير» قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ

اللَّه يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (فاطر: ٣)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١)، وقال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

الثاني: توحيد الألوهية وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه».

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو «إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل».

ومراد المؤلف هنا: توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (النحل: ٣٦).

فالعبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه مشرك كافر خالد في النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)، وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

**وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾(1) (النساء: ٣٦).**

---

(1) أعظم ما نهى الله عنه الشرك، وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق وهو توحيد الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨)، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨)، وقال النبي ﷺ: «**أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»(٢١). وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: «**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**»(٢٢) وقال النبي ﷺ: «**من مات وَهُوَ يدعو من دون الله نداً دخل النار**»(٢٣) رواه البخاري.

واستدل المؤلف رحمه الله تعالى لأمر الله تعالى بالعبادة ونهيه عن الشرك بقوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء: ٣٦) فأمر الله سبحانه وتعالى بعبادته ونهى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.

---

(٢١) رواه البخاري (٧٥٢٠)، ومسلم (٨٦)، وأبو داود (٢٣١٠)، والترمذي (٣١٨٢).

(٢٢) تقدم تخريجه.

(٢٣) رواه البخاري (١٢٣٨)، (٤٤٩٧)، (٦٦٨٣)، ومسلم (٩٢)، بنحوه.

واتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكاً في أنواع العبادة أو بعضها، وهو شرك أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكيسير الرياء، أفاده في «فتح المجيد» (ص ٨٧).

**فإذا قيل لك: ما الأصول[١] الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟[٢]..........**

---

**والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.**

**فالنوع الأول- الشرك الأكبر:** وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.

**النوع الثاني- الشرك الأصغر:** وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ (النساء: ٤٨).

(1) **(الأصول)** جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾ (إبراهيم: ٢٤).

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه الله إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

(2) أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان لها، لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة، وإنما قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.[٢٤]

---

**(٢٤)** هو حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة منهم:
أنس بن مالك: رواه الشيخان وأبو داود (٢/ ٥٣٩-٥٤٠)، وأحمد (٢/ ٢٣٢)، من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبي النصر عن سعيد عن قتادة عن أنس به.

**فقل: معرفة العبد ربه[1] ................................................،**

(1) معرفة الله تكون بأسباب:

منها النظر والتفكر فى مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدى إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته، وحكمته، ورحمته قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الاعراف: ١٨٥) وقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ (سبأ: ٤٦) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠) وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٦) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤).

ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر فى آياته الشرعية وهى الوحى الذى جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر فى هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التى لا تقوم حياة الخلق فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما

---

= وأبو هريرة: رواه الترمذى (٢/١٦٣)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٨٦٤)، والآجرى فى «الشريعة» (٣٦٥)، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة مرفوعاً.

وقال الترمذى «حديث حسن غريب».

وقال الشيخ الألبانى رحمه الله فى «الصحيحة» (٣/ ٣٨٠): «وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفى ابن إسحاق وهو العامرى القرشى مولاهم كلام لا يضر».

وفى «تخريج السنة» (ص ٤٠٣): قال: «إسناده حسن».

ومن حديث أبى سعيد الخدرى وجابر رضى الله عنهما وانظر تخريج أحاديثهما فى «تخريج السنة» (ص ٤٠٤-٤٠٥)، لمحدث الديار الشامية -طيب الله ثراه-.

**ودينه(١) ونبيه محمد ﷺ .(٢)**.........................................................

اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

ومنها ما يلقى الله عز وجل فى قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأى العين قال النبى عليه الصلاة والسلام، حين سأله جبريل ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».(٢٥)

(1) أى معرفة الأصل الثانى وهو دينه الذى كلف العمل به وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملاً مبنياً على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق، وأنه الدين الذى لا تقوم مصالح الخلق إلا به، ولا ينبغى أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم، فإن المسلمين قد فرطوا فى أشياء كثيرة وارتكبوا محاذير عظيمة حتى كأن العائش بينهم فى بعض البلاد الإسلامية يعيش فى جو غير إسلامى.

والدين الإسلامى -بحمد الله تعالى- متضمن لجميع المصالح التى تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافى مصالح الأمة فى أى زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيئ، فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سافل.

(2) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه محمداً ﷺ ، وتحصل بدراسة حياة النبى ﷺ وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله عز وجل،

---

(٢٥) سيأتى تخريجه.

**فإذا قيل لك: من ربك؟[1] فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه[2] وهو معبودي ليس لي معبود سواه[3].........................................**

---

والجهاد في سبيله وغير ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدته ورخائه وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتبعين لرسوله ﷺ، باطناً وظاهراً، وأن يتوفانا على ذلك إنه وليه والقادر عليه.

(1) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمدك، وأعدك، ورزقك.

(2) التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربَّى، ويشعر كلام المؤلف -رحمه الله- أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: «الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه» فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٤٩-٥٠) فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه.

ونعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا يمكن حصرها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨)، فالله هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك، ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة.

(3) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ومحبة وتعظيماً، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده سوى الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥) وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥).

**والدليل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١] (الفاتحة: ٢). وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.[٢] فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟[٣] فقل: بآياته ومخلوقاته[٤]**

---

(1) استدل المؤلف رحمه الله لكون الله سبحانه وتعالى مربياً لجميع الخلق بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢) يعنى الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم كما شاء عز وجل.[٢٦]

(2) العالم كل من سوى الله، وسموا عالماً لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففى كل شىء آية لله تدل على أنه واحد[٢٧]، وأنا -المجيب بهذا- واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربى أوجب علىَّ أن أعبده وحده.

(3) أى إذا قيل لك: بأى شىء عرفت الله عز وجل؟ فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته.

(4) الآيات: جمع آية وهى العلامة على الشىء التى تدل عليه وتبينه.

وآيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية، فالكونية هى المخلوقات، والشرعية هى الوحى الذى أنزل الله على رسله، وعلى هذا يكون قول المؤلف رحمه الله «بآياته ومخلوقاته» من باب عطف الخاص على العام إذا فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية، أو من باب عطف المباين المغاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية. وعلى كل فالله عز وجل يعرف بآياته الكونية وهى المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على المصالح، ودفع المفاسد.

---

(٢٦) والرب هو المالك المتصرف ويطلق فى اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح وكل ذلك صحيح فى حق الله تعالى ولا يستعمل الرب لغير الله بل بالإضافة تقول رب الدار رب كذا وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل إنه الاسم الأعظم. أفاده ابن كثير فى «تفسيره» (١/ ٢٢).

(٢٧) قال الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» (١/ ٢٢): العالم: هو كل موجود سوى الله عز وجل والعالم جمع لا واحد له من لفظه والعوالم أصناف المخلوقات فى السموات وفى البر والبحر وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً.

**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما(١)، والدليل(٢) ..........................................**

---

وفي كلِّ شيء له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحِد

(١) كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال الرحمة، فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظماً بديعاً منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم، فهي تسير لمستقر لها كما قال تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾(يس: ٣٨) وهى من آيات الله تعالى بحجمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار والبحار وغير ذلك، فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذى بيننا وبينها ومع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التى يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس، فإن الناس فى النهار يستغنون عن كل إضاءة ويحصل بها مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم ويعد هذا من الآيات التى لا ندرك إلا اليسير منها.

كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾(يس: ٣٩) فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص، وهو يشبه الإنسان حيث إنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى فتبارك الله أحسن الخالقين.

(٢) أى والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**﴾ ... إلخ أى من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار فى ذاتهما واختلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر فى ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم.

**قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت: ٣٧). **وقوله**[1] **تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

---

ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً فى نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذى خلقهن.

(1) **(وقوله)** أى من الأدلة على أن الله خلق السموات والأرض قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الآية وفيها من آيات الله:

**أولاً:** إن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة فى ستة أيام ولو شاء لخلقها بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته.

**ثانياً:** أنه استوى على العرش أى علا عليه علواً خاصاً به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

**ثالثاً:** أنه يغشى الليل النهار أن يجعل الليل غشاء للنهار، أى غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

**رابعاً:** أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد.

**خامساً:** عموم ملكه وتمام سلطانه حيث كان له الخلق والأمر لا لغيره.

**سادساً:** عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

* * *

**والرب هو المعبود[1]، والدليل[2] قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ[3] اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ[4] وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[5] (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا[6] وَالسَّمَاءَ بِنَاءً[7]**

---

(1) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤) فالرب هو المعبود أي هو الذي يستحق أن يعبد، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة، وليس المعنى أن كل من عبد فهو رب، فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها عابدوها أرباباً من دون الله ليست أرباباً.

والرب هو: الخالق، المالك، المدبر لجميع الأمور.

(2) أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة.

(3) النداء موجه لجميع الناس من بني آدم أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له فلا يجعلوا له أنداداً، ويبين أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له.

(4) قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق أي اعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً عليكم أن تعبدوه، ولهذا نقول يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان متناقضاً.

(5) أي من أجل أن تحصلوا على التقوى، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

(6) أي جعلها فراشاً ومهاداً نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

(7) أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٢).

وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (1) فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ (2) فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا (3) وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (4) (البقرة: ٢١-٢٢).

**قال ابن كثير رحمه الله تعالى(5): الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.(28)**

**وأنواع العبادة التي أمر الله بها(6): مثل الإسلام والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء**

---

(1) أى أنزل من العلو من السحاب ماءً طهوراً كما قال تعالى: ﴿لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (النحل: ١٠).

(2) أى عطاءً لكم وفى آية أخرى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات: ٣٣).

(3) أى لا تجعلوا لهذا الذى خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وأنزل لكم من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً.

(4) أى تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكاً فى العبادة.

(5) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى الدمشقى الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية توفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة.

(6) لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له، بين فيما يأتى شيئاً من أنواع العبادة فقال: وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان.

---

(٢٨) انظر: «تفسير الحافظ ابن كثير» (١/ ص ٥٦-٥٧).

**والخوف والرجاء والتوكل والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها (كلها لله تعالى).[1] والدليل قوله تعالى:** ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨).

---

وهذه الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: «**بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ** : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. **قال:** صدقت. **قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال:** أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. **قال:** صدقت. **قال: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال:** أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. **قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرنى عن أماراتها؟ قال:** أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان، **ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لى يا عمر:** أتدرى من السائل؟ **قلت الله ورسوله أعلم. قال:** فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[29] **فجعل النبى ﷺ هذه الأشياء هى الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله.**

(1) أى كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى.

---

(٢٩) سيأتى تخريجه.

فمن صَرَفَ منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(1) (المؤمنون: ١١٧).

وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة» والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(2) (غافر: ٦٠).

---

(1) ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- جملة من أنواع العبادة، وذكر أن من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وبقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد هي مواضع السجود أو أعضاء السجود له ورتب على ذلك قوله: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله سبحانه وتعالى بيّن أن من يدعو مع الله إلهاً آخر فإنه كافر لأنه قال: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، وفى قوله: ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهاناً على تعدد الآلهة فهذه الصفة ﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة مبينة للأمر وليست صفة مقيدة تخرج ما فيه برهان لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إلهاً آخر.

(2) هذا شروع من المؤلف -رحمه الله تعالى- فى أدلة أنواع العبادة التى ذكرها فى قوله: «**وأنواع العبادة التى أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء...**» إلخ. فبدأ -رحمه الله- بذكر الأدلة على الدعاء وسيأتى إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان. واستدل المؤلف -رحمه الله- بما يروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**الدعاء مخ العبادة**»(٣٠) واستدل كذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي

---

(٣٠) **إسناده ضعيف**: رواه الترمذى (٣٣٧١) وفى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، والوليد بن مسلم. مدلس تدليس تسوية، وقد عنعنه. ولكن صح الحديث بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**» رواه الترمذى (٢٩٦٩)، (٣٢٤٧) (٣٣٧٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، وغيرهم من طريق ذر بن عبد الله الهمدانى عن يُسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير فذكره مرفوعاً. وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح» وصححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى «صحيح الجامع» (٣٤٠٧).

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فدلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواءً كان المدعو حياً أو ميتاً. ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعمني، يا فلان اسقني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً فى الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

**فدعاء المسألة:** هو دعاء الطلب أى طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق فى قول القائل يا فلان أطعمني.

**وأما دعاء العبادة:** فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).(٣١)

---

(٣١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥)، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٤٠-٤١)، وقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، وقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (الرعد: ١٤)، وأمثال هذا فى القرآن فى دعاء المسألة أكثر من أن يحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة، لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات وكذلك الذاكر لله، والتالى لكتابه ونحوه، طالب من الله فى المعنى، فيكون داعياً عابداً». =

**ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[1] (آل عمران: ١٧٥).

(1) الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

**النوع الأول**: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، وهذا لا يلام عليه العبد، قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ١٨) لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ -رحمه الله- سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً، لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى فى المعصية لقوة يأسه.

**النوع الثانى**: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

---

= قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: فتبين بهذا قول شيخ الإسلام: إن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة. كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

إلى أن قال: «وضابط هذا: أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك، مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ (الزمر: ١٤).

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١) (الكهف: ١١٠).

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣). وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٢) (الطلاق: ٣). ..................................

---

**النوع الثالث:** خوف السر كأن يخاف صاحب القبر أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سرٍّ فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.(٣٢)

(1) الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي. وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

(2) التوكل على الشيء الاعتماد عليه. والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه ثم طمأن المتوكل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ (الطلاق: ٣) فلا يعجزه شيء أراده.

---

(٣٢) وانظر: «فتح المجيد» (ص ٣٧١ - ٣٧٢) «وقرة عيون الموحدين» (ص ١٨٣)، و«القول المفيد» (٢/ ٢٠-٢١)، و«معارج القبول» (٢/ ١٠٤-١٠٥).

**ودليل الرغبة[1] والرهبة[2] والخشوع[3] قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي**

---

واعلم أن التوكل أنواع:

**الأول:** التوكل على الله تعالى، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

**الثاني:** توكل السر بأن يعتمد على ميت فى جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً فى الكون، ولا فرق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدواً لله تعالى.

**الثالث:** التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه فى حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذى قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح فى حصوله.

**الرابع:** التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره فى أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف: ٨٧) ووكل النبى ﷺ على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل فى إثبات الحدود وإقامتها، ووكل على بن أبى طالب رضي الله عنه فى هديه فى حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

(1) **الرغبة:** محبة الوصول إلى الشىء المحبوب.

(2) **والرهبة:** الخوف المثمر للهرب من المخوف فهى خوف مقرون بعمل.

(3) **الخشوع:** الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكونى والشرعى.

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(الأنبياء: ٩٠).[1]

**ودليل الخشية قوله تعالى:** ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾(البقرة: ١٥٠).[2]

---

(1) فى هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعاً فى ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغى أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء فى جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا همَّ بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء فى حال المرض وجانب الخوف فى حال الصحة، لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفى حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل: يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله، وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه.

(2) الخشية هى: الخوف المبنى على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر:٢٨) أى العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهى أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدرى هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية.

ويقال فى أقسام أحكام الخشية ما يقال فى أقسام أحكام الخوف.

**ودليل الإنابة قوله تعالى:** ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (الزمر: ٥٤). (١)

**ودليل الاستعانة قوله تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥). **وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله[٢]».** (٣٣)
..........................................................

(1) الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ الإسلام الشرعي، وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية، وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

**الأول:** إسلام كوني، وهو الاستسلام لحكمه الكوني، وهذا عام لكل من في السموات والأرض من مؤمن وكافر وبر وفاجر، لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران: ٨٣).

**الثاني:** إسلام شرعي، وهو الاستسلام لحكمه الشرعي، وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

(2) الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

**الأول:** الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى:

---

(٣٣) **حديث صحيح:** رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٤٠٤، ٤٠٧)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٥٦)، وفي «الأسماء والصفات» (١٢٦)، وفي «الشعب» (١٩٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨)، وفي «الدعاء» (٤٢) كلهم من طريق قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس به.
وحنش هو ابن عبد الله الصنعاني ثقة، وقيس بن الحجاج صدوق، فالإسناد حسن، وهو صحيح بمجموع طرقه، فله طرق أخرى عن ابن عباس وفيها ضعف إلا أنها تقوي الحديث خرجت بعضها في تعليقي على «الأربعين النووية».

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿ إِيَّاكَ ﴾ وقاعدة اللغة التى نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

**الثاني:** الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه، فإن كانت على بر فهى جائزة للمستعين مشروعة للمعين، لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٢).

وإن كانت على إثم فهى حرام على المستعين والمعين، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢).

وإن كانت على مباح فهى جائزة للمستعين والمعين، لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير، ومن ثَمَّ تكون فى حقه مشروعة، لقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥).

**الثالث:** الاستعانة بمخلوق حى حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها، مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شىء ثقيل.

**الرابع:** الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك، لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً فى الكون.

**الخامس:** الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى، وهذه مشروعة بأمر الله تعالى فى قوله: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: ٥) وقوله ﷺ : **«إذا استعنت فاستعن بالله»**.[٣٤]

---

(٣٤) تقدم قريباً.

**ودليل الاستعاذة قوله تعالى:** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق: ١) و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (1) (الناس: ١).........................................

(1) الاستعاذة: طلب الإعاذة، والإعاذة الحماية من مكروه، فالمستعيذ محتمٍ بمن استعاذ به ومعتصم به، والاستعاذة أنواع:

**الأول:** الاستعاذة بالله تعالى وهى المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شىء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَٰهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

**الثانى:** الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[٣٥]، وقوله «**أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى**»[٣٦]، وقوله فى دعاء الألم «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[٣٧]، وقوله: «**أعوذ برضاك من سخطك**»[٣٨]، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥) فقال: «**أعوذ بوجهك**».[٣٩]

(٣٥) رواه مسلم (٢٧٠٨)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (٣٤٨)، (٣٥١)، والنسائى فى «الكبرى» (١٠٣٩٤)، (١٠٣٩٥)، والترمذى (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٣٥٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٩).

(٣٦) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائى (٨/ ٦٧٧)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٢/ ٢٥)، من طريق عبادة بن مسلم الفزارى عن جبير بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم عن ابن عمر به.
قال الشيخ مقبل بن هادى رحمه الله تعالى فى «الصحيح المسند مما ليس فى الصحيحين» (١/ ص٥٢٧- ٥٢٨/ ٧٨٠): «هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا عبادة بن مسلم الفزارى وجبير بن أبى سليمان وهما ثقة» انتهى.

(٣٧) رواه مسلم (٢٢٠٢)، وأبو داود (٣٨٩١)، والترمذى (٢٠٨٠)، وابن ماجه (٣٥٢٢)، وأحمد (٤/ ٢١٧).

(٣٨) رواه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائى (٢/ ٢١٠)، وابن ماجه (٣٨٤١).

(٣٩) رواه البخارى (٦٨٢٥).

**ودليل الاستغاثة قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(الأنفال: ٩). (١)

---

**الثالث:** الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦).

**الرابع:** الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن: «**من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به**»[٤٠] متفق عليه، وقد بيّن ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «**فمن كان له إبل فليلحق بإبله**» الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة.[٤١] الحديث، وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث**»[٤٢] الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

(1) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

**الأول:** الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم**

---

(٤٠) رواه البخاري(٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦)، عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة به.

(٤١) رواه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨)، والنسائي (٨/ ٧٣)، عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة به.

(٤٢) رواه مسلم (٢٨٨٢)، وأبو داود (٤٢٨٩)، عن أم سلمة.

**ودليل الذبح قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ﴾ (١) (الأنعام: ١٦٢-١٦٣). **ومن السنة «لعن الله من ذبح لغير الله»**.(٤٤)

---

**إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض»**(٤٣) وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر ﷺ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله هذه الآية.

**الثاني:** الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفا خفياً فى الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

**الثالث:** الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى فى قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص: ١٥).

**الرابع:** الاستغاثة بحى غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهى الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

(١) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوه:

**الأول:** أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذى شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر

---

(٤٣) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأبو داود (٢٦٩٠)، والترمذى (٣٠٨١)، من حديث ابن عمر به.

(٤٤) رواه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (١/١٠٨، ١١٨، ١٥٢)، والبيهقى فى «السنن» (٦/٩٩)، وغيرهم.

**ودليل النذر[1] قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [2]** (الإنسان: ٧).

---

ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ﴾.

**الثاني:** أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[٤٥] وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**».[٤٦]

**الثالث:** أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (يس: ٧١-٧٢) وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

(1) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

(2) وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم النذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة. ويؤيد ذلك قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧).

واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٩).

---

(٤٥) رواه البخاري (٦١٣٧)، ومسلم (١٧٢٧)، وأبو داود (٣٧٥٢)، عن يزيد بن حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به.

(٤٦) رواه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧)، والترمذي (١٠٩٤)، والنسائي (٦/١٢٨)، وابن ماجه (١٩٠٧)، عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعاً.

**الأصل الثاني[١]: معرفة دين الإسلام بالأدلة. وهو الاستسلام[٢] لله بالتوحيد[٣]، والانقياد له بالطاعة[٤]، والبراءة من الشرك وأهله[٥]** ..............................

---

والنذر الذى هو إلزام الإنسان نفسه بشىء ما، أو طاعة لله غير واجبة مكروه، وقال بعض العلماء إنه محرم لأن النبى ﷺ نهى عن النذر وقال: «**إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل**»[٤٧] ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبى ﷺ : «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**».[٤٨]

والخلاصة أن النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشىء لله عز وجل وقد قسم العلماء النذر الخاص إلى أقسام ومحل بسطها كتب الفقه.

(1) أى من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعنى أن يعرف دين الإسلام بأدلته من الكتاب والسنة.

(2) دين الإسلام وإن شئت فقل الإسلام هو «الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله» فهو متضمن لأمور ثلاثة.

(3) أى بأن يستسلم العبد لربه استسلاماً شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذى يحمد عليه العبد ويثاب عليه، أما الاستسلام القدرى فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٣).

(4) وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، لأن الطاعة طاعة فى الأمر بفعله وطاعة فى النهى بتركه.

(5) البراءة من الشرك أى أن يتبرأ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم البراءة من أهله

---

(٤٧) رواه البخارى (٦٦٠٨)، (٦٦٩٣)، ومسلم (١٦٣٩)، وأبو داود (٢٣٨٧)، والنسائى (٧/ ١٥-١٦)، وابن ماجه (٢١٢٢).

(٤٨) رواه البخارى (٦٦٩٦)، (٦٧٠٠)، وأبو داود (٣٢٨٩)، والنسائى (٧/ ١٧)، والترمذى (١٥٢٦)، وابن ماجه (٢١٢٦).

**وهو ثلاث مراتب**(١)**: (الإسـلام) و(الإيمـان) و(الإحسـان)، وكـل مرتبة لها أركان.**(٢)
**فأركان الإسلام (خمسة)**(٣) **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**(٤) .........

---

قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

(1) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(2) دليل ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وبين له ﷺ ذلك وقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».(٤٩)

(3) دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**».(٥٠)

(4) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركن واحد وإنما كانتا ركناً واحداً مع أنهما من شقين لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، واتباع الرسول ﷺ وهو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله.

---

(٤٩) سيأتي تخريجه.
(٥٠) رواه البخاري (٨)، (٤٥١٤)، ومسلم (١٦)، والنسائي (٨/١٠٧-١٠٨)، والترمذي (٢٦٠٩)، وأحمد (٢/٢٦، ٩٣، ١٢٠، ١٤٣).

و(إقام الصلاة) و(إيتاء الزكاة) و(صوم رمضان) و(حج بيت الله الحرام).

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] (آل عمران: ١٨).

ومعناها لا معبود بحق إلا الله، (لا إله) نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه[2].

---

(1) فى الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أى العدل ثم قرر ذلك بقوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وفى هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشريعته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسله الكرام.

وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله فى ألوهيته وتقرير ذلك ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(2) قوله (ومعناها) أى معنى لا إله إلا الله (لا معبود بحق إلا الله) فشهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله عز وجل لأنه «إله» بمعنى مألوه، والتأله التعبد، وجملة «لا إله إلا الله» مشتملة على نفى وإثبات، أما النفى فهو «لا إله» وأما الإثبات فهو «إلا الله» و «الله» لفظ الجلالة بدل من خبر «لا» المحذوف والتقدير «لا إله حق إلا الله» وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة «حق» يتبين الجواب عن الإشكال التالى: وهو كيف يقال «لا إله إلا الله» مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ (هود: ١٠١). وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩) والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر فى «لا إله إلا الله» فنقول: هذه الآلهة التى تعبد من دون الله هى آلهة لكنها آلهة

**وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ (1) لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ (2) مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي (3) فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (4) (٢٧) وَجَعَلَهَا (5) كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ (6)

---

باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (الحج: ٦٢) ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (النجم: ١٩-٢٣). وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (يوسف: ٤٠) إذن فمعنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التى يزعمها عابدوها ليست حقيقية أى ألوهية باطلة.

(1) إبراهيم هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد ﷺ وأبوه آزر.

(2) (براء) صفة مشبهة من البراءة وهى أبلغ من برىء. وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ يوافى قول «لا إله».

(3) خلقنى ابتداء على الفطرة وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يوافى قوله «إلا الله» فهو سبحانه وتعالى لا شريك له فى عبادته كما أنه لا شريك له فى ملكه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤) ففى هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده فله الخلق وله الأمر الكونى والشرعى.

(4) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيدلنى على الحق ويوفقنى له.

(5) ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أى هذه الكلمة وهى البراءة من كل معبود سوى الله.

(6) ﴿فِي عَقِبِهِ﴾ فى ذريته.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١)﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨). وقوله: ﴿قُلْ (٢) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ (٣) سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ (٤) فَإِن تَوَلَّوْا (٥) فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦)﴾ (آل عمران: ٦٤).

**ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ (٧) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (٨) حَرِيصٌ عَلَيْكُم (٩) بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٠) (التوبة: ١٢٨).

---

(1) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها من الشرك.

(2) الخطاب للنبي ﷺ لمناظرة أهل الكتاب -اليهود والنصارى-.

(3) ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فلا نعبد إلا الله هي معنى «لا إله إلا الله» ومعنى ﴿سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أننا نحن وإياكم سواء فيها.

(4) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله عز وجل بحيث يعظم كما يعظم الله عز وجل، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

(5) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عما دعوتموهم إليه.

(6) أي فاعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله، بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله».

(7) قوله ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

(8) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(9) أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

(10) أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بذلك لأنه ﷺ مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله ﷺ تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩) وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أن محمداً رسول الله حقاً.

**ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ الله إلا بما شرع.**[1]

---

(1) معنى شهادة أن «محمداً رسول الله» هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله - عز وجل - إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (الأنعام: ٥٠) فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢١-٢٢)، وقال سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣) وأن حقه ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهو أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

**ودليل الصلاة والزكاة**[1] **وتفسير التوحيد قوله تعالى:** ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ (٢) وَذَلِكَ (٣) دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٤) (البينة: ٥).

**ودليل الصيام** (٥) **قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

---

(1) أي أن الصلاة والزكاة من الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البينة: ٥) وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلابد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله عز وجل حنيفاً متبعاً لشريعته.

(2) هذا من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة من العبادة، ولكنه سبحانه وتعالى نص عليهما لما لهما من الأهمية، فالصلاة عبادة البدن والزكاة عبادة المال، وهما قرينتان في كتاب الله عز وجل.

(3) أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

(4) أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها، لأنها دين الله عز وجل، ودين الله مستقيم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل إلى الشرك، فمن لم يخلص لله لم يكن موحداً، ومن جعل عبادته لغير الله لم يكن موحداً.

(5) أي دليل وجوبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

وفي قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فوائد:

**الَّذينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [1] (البقرة: ١٨٣). **ودليل الحج[2] قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ** غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [3] (آل عمران: ٩٧).

---

**أولاً**: أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا، وهذا يدل على محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

**ثانياً**: التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام الذى قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان.

**ثالثاً**: الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التى سبقت لغيرها.

(1) بين الله عز وجل فى هذه الآية حكمة الصيام بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أى تتقون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى وقد أشار النبى ﷺ إلى هذه الفائدة بقوله: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**».(٥١)

(2) أى دليل وجوبه قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ** حِجُّ الْبَيْتِ﴾ إلخ. وهذه الآية نزلت فى السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج ولكن الله عز وجل قال: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ ففيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

(3) فى قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة».(٥٢)

---

**(٥١)** رواه البخارى (١٩٠٣).

**(٥٢)** رواه الترمذى (٢٧٧٠)، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيح» منه (٢١١٤).

**المرتبة الثانية**[1]: **الإيمان**[2]، **وهو بضع**[3] **وسبعون شعبة**[4]. **فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى**[5] **عن الطريق والحياء**[6] **شعبة من الإيمان،.................**

---

(1) أى من مراتب الدين.

(2) الإيمان فى اللغة: التصديق. وفى الشرع: «اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بضع وسبعون شعبة».

(3) البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.

(4) الشعبة: الجزء من الشيء.

(5) أى إزالة الأذى وهو ما يؤذى المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وما له رائحة كريهة ونحو ذلك.

(6) الحياء صفة انفعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف -رحمه الله تعالى- من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذى هو العقيدة أصوله ستة وهى المذكورة فى حديث جبريل -عليه الصلاة والسلام- حينما سأل النبى ﷺ عن الإيمان فقال: **«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.(٥٣)

وأما الإيمان الذى يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيماناً فى قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣) قال المفسرون: يعنى صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس.

---

(٥٣) سيأتى تخريجه.

**وأركانه ستة: أن تؤمن بالله[1]**..............................................

---

**(1) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:**

**الأول - الإيمان بوجود الله تعالى:**

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

**١- أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإنَّ كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرفُ عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «**ما من مولود إلاَّ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه**».[٥٤]

**٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:** فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة. لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن تُوجد صدفة تعيَّن أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

---

(٥٤) رواه البخاري (١٣٥٨)، (١٣٥٩)، (١٣٨٥)، (٤٧٧٥)، (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨)، والترمذي (٢١٣٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٤، ٢٥٣، ٣٣٢، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣٤٦، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٦٤، ٤٨١)، عن أبي هريرة به.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلى والبرهان القطعى فى سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥) يعنى أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم. فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع -جبير بن مطعم- رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ (الطور: ٣٥-٣٧) وكان -جبير -يومئذ مشركاً- قال: «كاد قلبى أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبى» رواه البخارى مفرقاً.(٥٥)

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد ؟!

**٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:** فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التى شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

---

(٥٥) تقدم تخريجه.

**٤- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:**

**أحدهما:** أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (الأنبياء: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩)، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت».(٥٦)

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

**الوجه الثاني:** أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣).

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٤٩) وقال: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠).

(٥٦) رواه البخاري (١٠١٦) (١٠١٧) (١٠١٩)، ومسلم (٨٩٧)، والنسائي (٣/ ١٦١).

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر: ١-٢).

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدلُّ دلالة قطعية على وجوده تعالى.

**الثاني - الإيمان بربوبيته :**

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤)، وقال: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣). ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤) وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨) لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: ١٤)، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤-٨٩).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٩) وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٧).

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكونى والشرعى فكما أنه مدبر الكون القاضى فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً فى العبادات، أو حاكماً فى المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

**الثالث - الإيمان بألوهيته:**

أى (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و«الإله» بمعنى «المألوه» أى «المعبود» حباً وتعظيماً، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨)، وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (الحج: ٦٢) وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى فى (اللات والعزى ومناة): ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ (النجم: ٢٣)، وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ (الأعراف: ٧١)، وقال عن يوسف أنه قال لصاحبى السجن: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ (يوسف: ٣٩-٤٠)، ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (المؤمنون: ٣٢) ولكن أبى ذلك المشركون واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

**الأول:** أنه ليس فى هذه الآلهة التى اتخذوها شىء من خصائص الألوهية، فهى مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣).

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ: ٢٢-٢٣).

وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (الاعراف: ١٩١-١٩٢)، وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

**الثاني:** أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذى بيده ملكوت كل شىء، وهو يجيرُ ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١-٢٢)، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧) وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣١-٣٢).

**الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته**

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه فى كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٨٠) وقال: ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الشورى: ١١).

وقد ضل فى هذا الأمر طائفتان:

**إحداهما:** (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه، أى تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

**الأول:** أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض فى كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شىء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض فى كلام الله، وتكذيبُ بعضه بعضاً.

**الثانى:** أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين فى اسم أو صفة أن يكونا متماثلين فأنت ترى الشخصين يتفقان فى أن كلاً منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا فى المعانى الإنسانية، والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

**الطائفة الثانية:** (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

**الأول:** أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

**الثاني:** أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذى عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى فى المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التى هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين فى حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسى مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت فى حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

**والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:**

**الأولى:** تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلقُ بغيره رجاء، ولا خوفاً، ولا يعبد غيره.

**الثانية:** كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

**الثالثة:** تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

**وملائكته** (1) ..........................................................

(1) الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ⁽¹⁹⁾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٩-٢٠).

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أنس ﷺ فى قصة المعراج أن النبى ﷺ رفع له البيت المعمور فى السماء يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.[٥٧]

**والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بوجودهم.

**الثاني:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

**الثالث:** الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبى ﷺ أنه رآه على صفته التى خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.[٥٨]

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى -مريم- فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبى ﷺ وهو جالس فى أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه،

---

(٥٧) رواه البخارى (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة.
(٥٨) رواه البخارى (٣٢٣٢) (٣٢٣٣).

ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبى ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان والساعة، وأماراتها، فأجابه النبى ﷺ فانطلق. ثم قال النبى ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». رواه مسلم.(٥٩)

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم ولوط كانوا فى صورة رجال.

**الرابع:** الإيمان بما علمنا من أعمالهم التى يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

**مثل:** جبريل الأمين على وحى الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.

**ومثل:** ميكائيل الموكل بالقطر أى بالمطر والنبات.

**ومثل:** إسرافيل الموكل بالنفخ فى الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

**ومثل:** ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

**ومثل:** مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.

**ومثل:** الملائكة الموكلين بالأجنة فى الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر فى بطن أمه بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد.

**ومثل:** الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بنى آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين، والثانى عن الشمال.

**ومثل:** الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع فى قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

---

(٥٩) سيأتى تخريجه.

**والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:**

**الأولى:** العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

**الثانية:** شكر الله تعالى على عنايته ببنى آدم، حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

**الثالثة:** محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة فى المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسولهﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ (فاطر: ١).

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (الأنفال: ٥٠).

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ (الأنعام: ٩٣).

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبأ: ٢٣).

وقال في أهل الجنة: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٣-٢٤).

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبىﷺ قال: **«إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحبُّ فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادى جبريل فى أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»**.(٦٠)

(٦٠) رواه البخارى (٣٢٣٦)، ومسلم (٢٦٣٧).

**وكتبه**[1] ..........................................................................

وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءُوا يستمعون الذكر**».(٦١) وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

(1) الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التى أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم فى الدنيا والآخرة.

**والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

**الثانى:** الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذى نزل على محمد ﷺ، والتوراة التى أنزلت على موسى ﷺ والإنجيل الذى أنزل على عيسى ﷺ والزبور الذى أوتيه داود ﷺ وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

**الثالث:** تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

**الرابع:** العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ (المائدة: ٤٨) أى (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأى حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

---

(٦١) رواه البخارى (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠) (١٠)، وأبو داود (٥٣١)، والنسائى (٣/ ٩٩)، والترمذى (٤٩٩)، ومالك (١/ ١٠١)، وأحمد (٢/ ٤٦٠).

**ورسله**[1] ..............................................................

**والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:**

**الأولى:** العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

**الثانية:** العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ (المائدة: ٤٨).

(١) الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** ﴾ (النساء: ١٦٣).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله – وذكر تمام الحديث).[٦٢]

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (النحل: ٣٦). وقال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ (فاطر: ٢٤). وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا** ﴾ (المائدة: ٤٤).

---

(٦٢) رواه البخاري (٧٤١٠)، (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣٣)، وابن ماجه (٤٣١٢)، وأحمد (٣/ ١١٦، ٢٤٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤١٧-٤١٨)، والطيالسي (٢٠١٠)، وعبد بن حميد (١١٨٧)، كلهم من حديث قتادة عن أنس به.

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: ٢١-٢٢).

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (الشعراء: ٧٩-٨١).

وقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني».(٦٣)

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣) وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾ (ص: ٤٥-٤٧). وقال في عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩).

**والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٥)، فجعلهم

---

(٦٣) رواه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢)، وأبو داود (١٠٢٠)، والنسائي (٣/٢٨)، وابن ماجه (١٢١١).

الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح ابن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

**الثاني:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ (الأحزاب: ٧)، وفي سورة الشورى في قوله: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ (الشورى: ١٣).

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ (غافر: ٧٨).

**الثالث:** تصديق ما صحّ عنهم من أخبارهم.

**الرابع:** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٥).

**وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:**

**الأولى:** العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

**واليوم الآخر** (1) ..................................................

**الثانية:** شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

**الثالثة:** محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا** ﴾ (الإسراء: ٩٤-٩٥) فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿ **إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ (إبراهيم: ١٠-١١).

(1) اليوم الآخر: يوم القيامة الذى يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمى بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة فى منازلهم، وأهل النار فى منازلهم.

**والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:**

**الأول:** الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عُراة غير مستترين، غُرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

**والبعث:** حق ثابت دلَّ عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾ (المؤمنون: ١٥-١٦).

وقال النبي ﷺ : «**يُحشرُ الناس يوم القيامة حفاة غرلاً**»(٦٤) متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضى أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ (المؤمنون: ١١٥) وقال لنبيه ﷺ : ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾ (القصص: ٨٥).

**الثاني:** الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ (الغاشية: ٢٥-٢٦)، وقال: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وقال: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأمَّا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين**»(٦٥) متفق عليه.

وصحَّ عن النبي ﷺ «**أن من همَّ بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من همَّ بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة**»(٦٦)

---

(٦٤) رواه البخاري (٦٥٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠)، والنسائي (٤/ ١١٤)، عن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

(٦٥) رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨)، وابن ماجه (١٨٣)، عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر فذكره.

(٦٦) رواه البخاري (٢٨٧٥)، ومسلم (١٨٦).

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلّ دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم.

فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦-٧).

**الثالث:** الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**». قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البينة: ٧-٨). وقال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١)، وقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩) وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ۝ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ (الأحزاب: ٦٤-٦٦).

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

( أ ) **فتنة القبر:** وهى سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبيى محمد ﷺ . ويضلُ الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه لا أدرى. ويقول المنافق أو المرتاب لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) **عذاب القبر ونعيمه:** فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٣). وقال تعالى فى آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦).

وفى صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبى ﷺ قال: «**فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار.** قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. **فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر.** قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. **قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن** قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. **قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال.** قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال».(٦٧)

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٤١). وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ

(٦٧) رواه مسلم (٢٨٦٧)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٨٦٨)، وأحمد (٥/ ١٩٠)، عن الجريرى عن أبى نضرة.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٣-٨٩).

وعن البراء بن عازب ﷺ أن النبى ﷺ قال فى المؤمن إذا أجاب الملكين فى قبره: «**ينادى مناد من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحو له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فى قبره مد بصره**»(٦٨) رواه أحمد وأبو داود فى حديث طويل.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

**الأولى:** الرغبة فى فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

**الثانية:** الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

**الثالثة:** تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن. وهذا الزعم باطل دلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

**أما الشرع:** فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧) وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

**وأما الحس:** فقد أرى الله عباده إحياء الموتى فى هذه الدنيا، وفى سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك وهى:

---

(٦٨) **حديث حسن.** رواه أبو داود (٣٢١٢) (٤٧٥٣) (٤٧٥٤)، والنسائى (٤/ ٧٨)، وفى «الكبرى» (٢١٢٨)، وابن ماجه (١٥٤٨)، (١٥٤٩)، وأحمد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧)، وابن أبى شيبة (٣/ ٢٥٦-٢٥٧)، وعبد الرزاق (٦٧٣٧)، والطيالسى (٧٥٣)، من طريق المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب به. وسنده حسن. وحسنه شيخنا أحمد حفظه الله فى «تحقيق الاعتقاد» (ص ٢٩١-٢٩٢)، للبيهقى.

**المثال الأول:** قوم موسى حين قالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥) فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥-٥٦).

**المثال الثاني:** في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٢-٧٣).

**المثال الثالث:** في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

**المثال الرابع:** في قصة الذي مرَّ على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

**المثال الخامس:** في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي

ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

**أحدهما:** أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (الانبياء: ١٠٤)، وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس: ٧٩).

**الثاني:** أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (ق: ٩-١١).

وقد ضلّ قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق. وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

**أما الشرع:** فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه فى فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

وفى صحيح البخارى - من حديث - ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**خرج النبى ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما**»[٦٩] وذكر الحديث وفيه: «**أن أحدهما كان لا يستتر من البول**» -وفى رواية «من بوله»- وأن الآخر كان يمشى بالنميمة».

**وأما الحس:** فإن النائم يرى فى منامه أنه كان فى مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان فى مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه فى حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى «وفاة» قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(الزمر: ٤٢).

**وأما العقل:** فإن النائم فى منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبى ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم فى حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا ممكناً فى أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً فى أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت فى قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

**الأول:** أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التى لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

---

[٦٩] رواه البخارى (٢١٨)، وأبو داود (٢٠)، والنسائى (١/٢٨-٣٠)، والترمذى (٧٠)، وابن ماجه (٣٤٧).

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

**الثاني:** أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

**الثالث:** أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه. ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه، وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

**الرابع:** أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبحُ بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧) وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

وتؤمن بالقدر خيره وشره.[1] والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ

---

(1) القدر بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق علمه، واقتضته حكمته».

**والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:**

**الأول:** الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

**الثاني:** الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠). وفي صحيح مسلم -عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**.[٧٠]

**الثالث:** الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٨٦)، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٦). وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ (النساء: ٩٠) وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

**الرابع:** الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢)

---

(٧٠) رواه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد (٢/ ١٦٩)، وعبد بن حميد (٣٤٣)، وابن حبان (١٦٣٨)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٤٩)، وفي «الأسماء والصفات» (٧٩٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٦٦).

الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: ١٧٧).

---

وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، وقال عن نبى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦).

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافى أن يكون للعبد مشيئة فى أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

**أما الشرع:** فقد قال الله تعالى فى المشيئة: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ (النبأ: ٣٩)، وقال: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وقال فى القدرة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

**وأما الواقع:** فإن كل إنسان يعلم أنَّ له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشى، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٨-٢٩)، ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون فى ملكه شيء بدون علمه ومشيئته. والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فَعَلَ من المعاصى، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:

**الأول:** قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ (الانعام: ١٤٨)، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

**ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** (القمر: ٤٩) ..............

**الثاني:** قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

**الثالث:** ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة.** فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال: **لا اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [71] الآية. وفي لفظ لمسلم: «**فكل ميسر لما خلق له**» فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

**الرابع:** أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

**الخامس:** أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علمٍ منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

**السادس:** أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! أفليس شأن الأمرين واحداً؟!

---

(٧١) رواه البخاري (١٣٦٢، ٤٩٤٥، ٤٩٤٩، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢) وفي «الأدب المفرد» (٩٠٣)، ومسلم (٢٦٤٧)، وأبو داود (٤٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٧٨)، (١١٦٧٩)، والترمذي (٢١٣٦)، وابن ماجه (٧٨).

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدى الإنسان طريقان أحدهما ينتهى به إلى بلد كلها فوضى، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثانى ينتهى به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأى الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثانى الذى ينتهى به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأى عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك فى أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتجُ بالقدر؟!

مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذى يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذى يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟!

**السابع:** أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصى، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمنى فإنَّ اعتدائى كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر فى اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه فى اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

**وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:**

**الأولى:** الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شىء بقدر الله تعالى.

**الثانية:** أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

**الثالثة:** الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذى له ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا** عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٢-٢٣)، ويقول النبى ﷺ : «**عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»[٧٢] رواه مسلم. وقد ضل فى القدر طائفتان:

**إحداهما:** الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

**الثانية:** القدرية الذين قالوا إنَّ العبد مستقل بعمله فى الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر. والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

**أما الشرع:** فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢) وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩) الآية، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦).

---

(٧٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

**وأما الواقع:** فإن كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعاله الاختيارية التى يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع ، والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو فى الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفى الثانى غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل.

**أما الشرع:** فإن الله تعالى خالق كل شىء، وكل شىء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى فى كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: ١٣).

**وأما العقل:** فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف فى ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

* * *

**المرتبة الثالثة ـ الإحسان ركن واحد: وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾** (النحل: ١٢٨). **وقوله:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (الشعراء: ٢١٧-٢٢٠). **وقوله:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾** (1) (يونس: ٦١)..................................................

---

(1) **الإحسان:** ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله فى ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

**فأما المال:** فأن ينفق ويتصدق ويزكى وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلابها، وهى أحب النفقات إلى الله عز وجل، ويلى ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبنى إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

**وأما بذل المعروف في الجاه:** فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوى السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذى سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

**وأما بعلمه:** فأن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً فى الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتى لو كنت فى مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت فى مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة فى هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست فى مجلس جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبى ﷺ كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

**وأما الإحسان إلى الناس بالبدن**: فقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: «**وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليها متاعه صدقة**»(٧٣) فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

**وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله**: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبى ﷺ وهذه العبادة أى عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذى يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٧٤)، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية فى الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله -عز وجل- كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذى يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.

---

(٧٣) رواه البخارى (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

(٧٤) قال الإمام النووى فى «شرحه» (١/١٩٣): «وهذا من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان فإن التتميم المذكور فى حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير فى هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود فى عدم رؤية العبد، فينبغى أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص فى العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى فى إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك».

وقال ابن رجب الحنبلى -رحمه الله- فى «جامع العلوم» (ص ٣٨): «وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» إلخ يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهى استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم».

وعبادة الله -سبحانه وتعالى- هى كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

وعبـادة الرحـمن غـاية حبـه      مـع ذل عـابـده همـا ركنـان

فـالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غـاية الحب، وغـاية الذل، ففى الحب الطلب، وفى الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان فى عبادة الله عز وجل.

وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصاً لله -عز وجل- لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحاً عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس فى عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان فى إعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدى به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراساً يسيرون عليه، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدى بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففى هذا خير، وهذه المصلحة التى يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء، لهذا يثنى الله -عز وجل- على الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا، وإذا كان فى الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلما كان أصلح وأنفع فى العبادة فهو أكمل وأفضل.

* * *

والدليل من السنة: حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه «قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله. وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال: فمضى فلبثنا مليًا فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم[1]».[٧٥]

---

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام[٧٦]، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل (3/ 143).

---

**(٧٥)** رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والنسائى (٨/ ٩٧)، والترمذى (٢٦١٠)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (١/ ٢٨، ٥١، ٥٢)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (١٤٥)، والطيالسى (٢٢).

**(٧٦)** وقال القاضى عياض -رحمه الله-: وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذى سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، إذ لا يشذ شىء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة، والله أعلم.

**الأصل الثالث[1]: معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. وله من العمر ثلاث وستون**

(1) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه. وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه. وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

**الأول:** معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.(٧٧)

**الثاني:** معرفة سنّه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: «وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة» فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثاً وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشر بعد الهجرة.(٧٨)

**الثالث:** معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

---

(٧٧) قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله في «جوامع السيرة»: (ص٢) «هو أبو القاسم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب -واسمه شيبة الحمد -بن هاشم- واسمه عمرو - بن عبد مناف - واسمه المغيرة- ابن قُصي - واسمه زيد- بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ههنا انتهى النسب الصحيح الذي لاشك فيه.
وعدنان بلاشك من ولد إسماعيل الذبيح رسول الله بن إبراهيم خليل الله ورسوله صلى الله على سيدنا محمد وعليهما وعلى جميع رسله وأنبيائه» انتهى.

(٧٨) قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في «لطائف المعارف» (ص ١١٣-١١٤): «لما توفي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام. ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية، وقال: إنما بعث إليه» انتهى.

**سنة منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيًا ورسولاً. نُبِّئ باقرأ. وأرسل بالمدثر. وبلده مكة وهاجر إلى المدينة بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد[1]، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[2] (١) قُمْ فَأَنذِرْ[3] (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ**

---

**وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان**

**الرابع**: بماذا كان نبياً ورسولاً؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥)، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ١-٧)، فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.

والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

**الخامس**: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

(1) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(2) النداء لرسول الله ﷺ.

(3) يأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات.

فطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: ١-٧)، ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ : أي عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أي طهر أعمالك عن الشرك، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة منها وأهلها.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد[١]، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء[٢]

---

(1) أي أن النبي ﷺ بقى عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالى.

(2) العروج الصعود[٧٩] ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: ٤) وهو من خصائص النبي ﷺ العظيمة التي فضله الله به قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ثم استخرج قلبه فملأه حكمه وإيماناً تهيئة لما سيقوم به ثم أتى بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها البراق يضع خطوه عند منتهى طرفه فركبه ﷺ وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً بكل الأنبياء

---

(٧٩) «كانت رحلة الإسراء والمعراج - مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقاه في أثنائه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين، إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.
وبعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونصب وتعب وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون وما غفل عن ذكره الغافلون» أفاده الجزائري في «هذا الحبيب يا محب» (ص ١٣٥)، وفي قصة الإسراء والمعراج فوائد لا تكاد تحصر انظرها في: «فتح الباري» (٧/٢٥٨)، و«محاسن التأويل» (١٠/١٨٧-١٨٨)، و«الرحيق المختوم» (ص ١٦٧-١٦٨)، «وفقه السيرة» للبوطي (ص ١٢٠-١٢٢)، والغزالي (١٤٣-١٤٤)، وقفات تربوية مع السيرة النبوية (ص ١٢١-١٢٩) وغيرها.

.................................................................................................

والمرسلين يصلون خلفه ليتبين بذلك فضل رسول الله ﷺ وشرفه وأنه الإمام المتبوع، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبيل شماله بكى، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح.. إلخ. فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الخالة كل واحد منهما ابن خالة الآخر فقال جبريل: هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلم عليهما، فردا السلام وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح.. إلخ. فوجد فيها يوسف عليه الصلاة والسلام فقال جبريل هذا يوسف فسلم عليه فسلم عليه، فرد السلام، وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح... إلخ. فوجد فيها إدريس ﷺ فقال جبريل هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح ... إلخ. فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى ﷺ فقال جبريل هذا هارون فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح... إلخ. فوجد فيها موسى ﷺ فقال جبريل هذا موسى فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال: «أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» فكان بكاء موسى حزناً على ما فات أمته من الفضائل لا حسداً لأمة محمد ﷺ، ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة

**وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين[١] وبعدها أمر بالهجرة[٢] إلى المدينة........................................................**

---

فاستفتح... إلخ. فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه فرد عليه السلام وقال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. وإنما طاف جبريل برسول الله ﷺ على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور فى السماء السابعة الذى يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون فى اليوم الثانى يأتى غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله، ثم رفع النبى ﷺ إلى سدرة المنتهى فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضى بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسى قال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قال: خمسين صلاة فى كل يوم. فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال النبى ﷺ فرجعت فوضع عنى عشراً وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس، فنادى مناد أمضيت فريضتى وخففت على عبادى.

وفى هذه الليلة أدخل النبى ﷺ الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ثم نزل رسول الله ﷺ حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح.[٨٠]

(1) وكان يصلى الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر.

(2) أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن

---

(٨٠) تقدم تخريجه.

يقيم دعوته، وفى شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل النبى ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحى وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول ﷺ ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبى ﷺ حيث اجتمع كبراؤهم فى دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله ﷺ حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لابد أن يلحق بهم ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحينئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل الرأى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ثم نعطى كل واحد سيفاً صارماً ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه فى القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف -يعنى عشيرة النبى ﷺ - أن يحاربوا قومهم جميعاً فيرضون بالدية فنعطيهم إياها.(٨١)

فأعلم الله نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبى ﷺ : على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى. فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبى ﷺ،(٨٢) قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة فى منتصف النهار إذا برسول الله ﷺ على الباب متقنعاً فقال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر. فدخل النبى ﷺ وقال لأبى بكر: أخرج من عندك. فقال: إنما هم أهلك بأبى أنت وأمى. فقال النبى ﷺ :

(٨١) انظر: «الدرر فى اختصار المغازى والسير» لابن عبد البر (ص ٧٥-٧٩).
(٨٢) انظر «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٢/ ٢٢١-٢٢٣).

قد أذن لى فى الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: نعم. فقال: يا رسول الله فخذ إحدى راحلتى هاتين. فقال النبى ﷺ: بالثمن ثم خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر فأقاما فى غار جبل ثور ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وكان غلاماً شاباً ذكياً واعياً فينطلق فى آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر حول النبى ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتى يأتى به إليهما حين يختلط الظلام، فجعلت قريش تطلب النبى ﷺ من كل وجه وتسعى بكل وسيلة ليدركوا النبى ﷺ حتى جعلوا لمن يأتى بهما أو بأحدهما ديته مئة من الإبل[٨٣]، ولكن الله كان معهما يحفظهما بعنايته ويرعاهما برعايته حتى إن قريشاً ليقفون على باب الغار فلا يرونهما. قال أبو بكر رضي الله عنه قلت للنبى ﷺ ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال: **«لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»**[٨٤] حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من الغار بعد ثلاث ليال متجهين إلى المدينة على طريق الساحل.

ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كل يوم إلى الحرة ينتظرون قدوم رسول الله ﷺ وصاحبه حتى يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم وإذا رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله ﷺ وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم -يعنى هذا حظكم وعزكم- الذى

(٨٣) رواه البخارى (٢/ ٢٧٢-٢٧٣)، مناقب الأنصار.

(٨٤) رواه البخارى (٢٤٣٩) (٣٦١٥) (٣٩٠٨) (٣٩١٧)، (٥٦٠٧)، ومسلم (٢٠٠٩)، وأحمد (١/ ٢-٣، ٩)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٥٦-٤٥٧)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢/ ٤٨٣-٤٨٥).

**والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام(١)، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام(٢)، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة. والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾(٣)** (النساء: ٩٧-٩٩).

---

تنتظرون فهب المسلمون للقاء رسول الله ﷺ معهم السلاح تعظيماً وإجلالاً لرسول الله ﷺ وإيذاناً باستعدادهم للجهاد والدفاع دونه ﷺ فتلقوه ﷺ بظاهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين ونزل فى بنى عمرو بن عوف فى قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه فى الطرقات قال أبو بكر رضي الله عنه: «خرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد».

(1) الهجرة فى اللغة: «مأخوذة من الهجر وهو الترك.

وأما فى الشرع فهى كما قال الشيخ: «الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام»، وبلد الشرك هو الذى تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد والجمعة على وجه عام شامل، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التى فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهى البلاد التى تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(2) فهى واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه فى بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(3) فى هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها،

**وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: ٥٦).**

**قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.(١)**

**والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ (٨٥): «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».(٢)** ..........................

---

أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(1) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوى بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور فى تفسير البغوى لهذه الآية بهذا اللفظ.

(2) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: ١٥٨)، والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها.

(تتمة) نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر:

فنقول: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

**الشرط الأول:** أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

**الشرط الثانى:** أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

**الشرط الثالث:** أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما فى ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة فى هذه الأسفار.

---

(٨٥) رواه أحمد (١/١٩٢)، وغيره وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ٢٥٠)، وقال: «روى أبو داود والنسائى بعض حديث معاوية رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدى -ورجال أحمد ثقات».

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقى علم لا يوجد فى بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة فى بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية فى بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضى زمن إجازته فيها.

وأما الإقامة فى بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان -والعياذ بالله- حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغى بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التى تمنع من الهوى فى تلك المهالك.

فالإقامة فى بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسيين:

**الشرط الأول:** أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافى الإيمان بالله قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢) الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١-٥٢)، وثبت فى الصحيح

عن النبى ﷺ : «**أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب**»[٨٦] ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبى ﷺ : «**من أحب قوماً فهو منهم**».[٨٧]

**الشرط الثاني:** أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلى جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ، قال فى المغنى (ص 457 جـ8) فى الكلام على أقسام الناس فى الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:٩٧)، وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

**وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:**

**القسم الأول:** أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهى فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها

---

(٨٦) رواه البخارى (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠)، عن جرير عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله ابن مسعود به. ورواه مسلم (٢٠٣٩)، عن أنس، ورواه البخارى (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١)، عن الأعمش عن شقيق عن أبى موسى به.

(٨٧) تقدم قريباً.

أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهى طريقة المرسلين وقد أمر النبى ﷺ بالتبليغ عنه فى كل زمان ومكان فقال ﷺ: «**بلغوا عنى ولو آية**».(٨٨)

**القسم الثاني:** أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك، ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب فى الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ويشبه هذا أن يقيم فى بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين، ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبى ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين فى غزوة الخندق ليعرف خبرهم.(٨٩)

**القسم الثالث:** أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفى السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافى مثلاً يقيم ليرعى

(٨٨) رواه البخارى (٧/ ١٧٠)، رقم (٣٤٦١).
(٨٩) رواه مسلم (٦/ ٣٨٥)، رقم (١٧٨٨).

شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

**القسم الرابع:** أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم -رحمهم الله- على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة ﷺ.

**القسم الخامس:** أن يقيم للدراسة وهى من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدى ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب فى مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

**الشرط الأول:** أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلى الذى يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغار السن» وذوى العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التى سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التى نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيراً من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به رجعوا منحرفين فى دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر فى هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

**الشرط الثاني:** أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

وفي الدعاء المأثور «**اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً عليّ فأضلّ**».

**الشرط الثالث:** أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

**الشرط الرابع:** أن تدعو الحاجة إلى العلم الذى أقام من أجله بأن يكون فى تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير فى المدارس فى بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذى لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان فى البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم فى بلاد الكفر من أجله لما فى الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق وإضاعه الأموال الكثيرة بدون فائدة.

**القسم السادس:** أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم فى العقيدة والتعبد ولذلك جاء فى الحديث عن النبى ﷺ : «**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله**»[90]. وهذا الحديث وإن كان

(٩٠) رواه أبو داود (١٢٤٥)، وضعفه الشيخ الألبانى فى الضعيف منه.

**فلما استـقـر بالمدينة أمر ببـقـية شـرائع الإسـلام مثل الـزكـاة، والصـوم، والحج. والجهاد، والأذان والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.**(1)

ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله ﷺ أن النبىﷺ قال: **«أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما»**[91] رواه أبو داود والترمذى وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبىﷺ قال الترمذى سمعت محمداً -يعنى البخارى- يقول الصحيح حديث قيس عن النبىﷺ ، مرسل. اهـ.

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن فى بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما فى ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده فى دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه فى حكم الإقامة فى بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقاً للحق والصواب.

(1) يقول المؤلف رحمه الله تعالى: لما استقر -أى النبىﷺ - فى المدينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام، وذلك أنه فى مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس فى مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً فى المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً فى مكة لكنها لم تقدر أنصابها ولم يقدر الواجب فيها، وفى المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة

(91) انظر كلام الشيخ فى «الشرح».

**أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه[1] ودينه باق، وهذا**

---

في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ (الأنعام: ١٤١)، ومثل قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة، لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(1) أخذ أي النبي ﷺ عشر سنين بعد هجرته فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره الله لجواره واللحاق بالرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فابتدأ به المرض صلوات الله وسلامه عليه في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء، الذين قتلوا في أحد ثم قال: «**إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله**» ففهمها أبو بكر رضي الله عنه فبكى، وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا فقال النبي ﷺ : «**على رسلك يا أبا بكر**» ثم قال: «**إن أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الإسلام ومودته**»[٩٢] وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر

---

(٩٢) تقدم تخريجه.

**دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلّ عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة[1]، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس.**

---

ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة اختاره الله لجواره فلما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» ثم شخص بصره نحو السماء وقال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»[٩٣] فتوفى ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾(آل عمران: ١٤٤)، ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ (الزمر: ٣٠)». فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات الله وسلامه عليه في ثيابه تكريماً له، ثم كفن بثلاثة أثواب أي لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه أرسالاً بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.[٩٤]

(1) بعثه الله أي أرسله، إلى الناس كافة أي جميعاً.

---

(٩٣)رواه البخاري (٧/ ٧٥٦-٧٥٧).

(٩٤)قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في «لطائف المعارف» (ص ١٠٥-١٠٦): «كان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في المشهور. وقيل: أربعة عشر يوماً وقيل: اثنا عشر يوماً وقيل عشرة أيام وهو غريب، وكانت خطبته التي خطب بها في حديث أبي سعيد في ابتداء مرضه ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس فقام على المنبر فقال: «إن عبداً .... الحديث». وقال (ص ١١٣-١١٤)، ما مختصره: «لما توفي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بعث إليه».

**والدليل قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (١) (الأعراف: ١٥٨)، **وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (٢) (المائدة: ٣).

---

(1) فى هذه الآية دليل على أن محمداً رسول الله ﷺ إلى الناس جميعاً وأن الذى أرسله له ملك السماوات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المتوحد بالألوهية كما هو متوحد فى الربوبية، ثم أمر سبحانه وتعالى فى آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبى الأمى وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية التوفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين وهم الإنس والجن وسموا بذلك لكثرة عددهم.

(2) أى أن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيامة فما توفى رسول الله ﷺ إلا وقد بيَّن للأمة جميع ما تحتاجه فى جميع شئونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: **«ما ترك النبى ﷺ طائراً يقلب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علماً»**(٩٥). وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسى رضي الله عنه علمكم نبيكم حتى الخرأة -آداب قضاء الحاجة- قال: «نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجى باليمين، أو أن نستنجى برجيع أو عظم»(٩٦). فالنبى ﷺ بيّن كل

---

(٩٥) رواه أحمد (٥/ ١٥٣-١٦٢)، والطيالسى (٤٧٩)، كلاهما من طريق المنذر الثورى عن أشياخ لهم عن أبى ذر به وهذا سند ضعيف لجهالة أشياخ منذر. لكن أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢)، ووكيع فى «الزهد» (٥٢٢)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٣٥٤)، عن فطر بن خليفة عن منذر عن أبى ذر به. وهذا سند ضعيف لانقطاعه فإن منذراً لم يدرك أبا ذر. وخالف وكيعاً وحجاجاً، سفيان بن عيينة فراوه عن فطر عن أبى الطفيل عامر بن واثلة عن أبى ذر. رواه البزار (٣٨٩٧- كشف الأستار والطبرانى فى «الكبير» (١٦٤٧)، وخالفهم يحيى بن سعيد القطان، فرواه عن فطر عن عطاء بن أبى رباح عن أبى الدرداء. رواه أبو يعلى (٥١٠٩)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله- فى «المطالب» (٤/ ٢٨): «ورجاله ثقات إلا أنه منقطع- أى بين عطاء وأبى الدرداء.

(٩٦) رواه مسلم (٢٦٢)، وأبو داود (٧)، والنسائى (١/ ٣٨-٣٩)، والترمذى (١٦)، وأحمد (٥/ ٤٣٩)، وابن أبى شيبة (١/ ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٦)، والبيهقى (١/ ٩٢، ١٠٢)، والطبرانى فى «الكبير» (٦٠٨٢)، من طريق أبى معاوية الضرير عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان به.

**والدليل على موته ﷺ قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[١] (الزمر: ٣٠-٣١). **والناس إذا ماتوا يبعثون**[٢]**، والدليل قوله تعالى:** ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ[٣] وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[٤] وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى[٥]﴾ (طه: ٥٥)،

---

الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداءً أو جواباً عن سؤال، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد.

وكل ما أمر به فهو خير للأمة فى معادها ومعاشها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة فى معاشها ومعادها، وما يجهله بعض الناس ويدعيه من ضيق فى الأمر والنهى فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا فى الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦)، فالحمد لله على تمام نعمته وإكمال دينه.

(1) ففى هذه الآية أن النبى ﷺ ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

(2) بين رحمه الله تعالى فى هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله عز وجل أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذى ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينيب إلى الله عز وجل ويخشى هذا اليوم قال الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾ (المزمل: ١٧-١٨). وفى هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتين:

(3) أى من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب.

(4) أى بالدفن بعد الموت.

(5) أى بالبعث يوم القيامة.

**وقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾** [1] (نوح: ١٧-١٨). **وبعد البعث محاسبون ومَجْزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾** [2] (النجم: ٣١).........

---

(1) هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى:﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه: ٥٥)، والآيات فى هذا المعنى كثيرة جداً وقد أبدى الله عز وجل وأعاد فى إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذى نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من العاملين له ومن السعداء فيه.

(2) يعنى أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال الله تبارك وتعالى:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)، وقال تعالى:﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقال جلَّ وعلا:﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله عز وجل وامتناناً منه سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكثير، أما العمل السيئ فإن السيئة بمثلها لا يجازى الإنسان بأكثر منها قال تعالى:﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.

ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى:﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ ولم يقل بالسوآى كما قال:﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

ومن كَذَّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1] (التغابن: ٧)، ....................

---

(1) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٢٩-٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المطففين: ١٠-١٧)، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (الفرقان: ١١)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت: ٢٣)، واستدل الشيخ رحمه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

**وأما إقناع هؤلاء المنكرين فبما يأتي:**

**أولاً:** أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية، وتلقته أممهم بالقبول، فكيف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل، ولا في شهادة الواقع ؟!!

**ثانياً:** أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه:

١- كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

2- كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذى خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى، قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٧)، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣)، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨١-٨٢).

3- كل ذى بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيا نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

**ثالثاً:** أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك فى سورة البقرة خمس حوادث منها، قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

**رابعاً:** أن الحكمة تقتضى البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق فى هذه الحياة. قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥-١١٦)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: ١٥)،

**وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1] (النساء: ١٦٥)،..................**

---

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(النحل: ٣٨-٤٠)، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(التغابن: ٧).

فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا على إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(1) بين المؤلف -رحمه الله تعالى- أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشرى مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ما له من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ التوحيد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

**وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [1] (النساء: ١٦٣)، وكل أمة بعث الله إليها رسولاً[2] من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [3] (النحل: ٣٦). وافترض الله على جميع العباد الكفر**

---

(1) بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعالى: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** (النساء: ١٦٣)، وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة: «**إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض**»[97] فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذى يظهر أن إدريس من أنبياء بنى إسرائيل.

وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** (الاحزاب: ٤٠)، فلا نبى بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

(2) أى أن الله بعث فى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك ودليل ذلك قول الله تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾** (فاطر: ٢٤)، وقال: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**.[98]

(3) هذا هو معنى لا إله إلا الله.

---

**(٩٧)** تقدم تخريجه.

**(٩٨)** قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فى «فتح المجيد» (ص ٢٩-٣٠): «دلت هذه الآية على أن الحكمة فى إرسال الرسل: دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهى عن عبادة ما سواه، وأن هذا الدين هو دين الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨) وأنه لابد فى الإيمان من عمل القلب والجوارح»

**بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع[1]،........................................**

---

(1) أراد شيخ الإسلام رحمه الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عباده والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾(الحاقة: ١١)، يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

واصطلاحاً أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- أنه -أي الطاغوت-: «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع». ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا - أو اتبعوا- أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعاً لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماً، وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليماً، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت، لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.

وأما قوله -رحمه الله- «أو مطاع» فيريد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدراً، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة لله -عز وجل- ولهذا ينبغي أن نلاحظ

..........................................................................

حين ننفذ ما أمربه ولى الأمر مما تجب طاعته فيه أننا فى ذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغى لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

وأما طاعة الأمراء قدراً فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء فى سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولى الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هى الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضاً، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قوياً يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره.

ولهذا نقول إن الناس مع حكامهم فى هذه المسألة لهم أحوال:

**الحال الأولى:** أن يقوى الوازع الإيمانى والرادع السلطانى وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

**الحال الثانية:** أن يضعف الوازع الإيمانى والرادع السلطانى وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه، لأنه إذا ضعف الوازع الإيمانى والرادع السلطانى حصلت الفوضى الفكرية والخلقية، والعملية.

**الحال الثالثة:** أن يضعف الوازع الإيمانى ويقوى الرادع السلطانى وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطانى صار أصلح للأمة فى المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها.

**الحال الرابعة:** أن يقوى الوازع الإيمانى ويضعف الرادع السلطانى فيكون المظهر أدنى منه فى الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى.

والطواغيت[1] كثيرة. ورؤوسهم[2] خمسة، إبليس[3] لعنه الله، ومن عبد وهو راضٍ[4]، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه[5]، ومن ادعى شيئًا

---

(1) جمع طاغوت وسبق تفسيره.

(2) أى زعمائهم ومقلدوهم خمسة.[99]

(3) إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين الذى قال الله له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (ص:٧٨)، وكان إبليس مع الملائكة فى صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث والإباء والاستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤).

(4) أى عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رؤوس الطواغيت -والعياذ بالله- وسواء عبد فى حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

(5) أى من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يُجَبْ.

---

(٩٩) قال شيخنا المفضال ياسر برهامى -وفقه الله- فى «لا إله إلا الله - كلمة النجاة» (ص٢٠-٢١):
«وأصل الطاغوت من الطغيان وهو مجاوزة الحد وكل من هؤلاء الخمسة قد جاوز حد العبودية وزعم لنفسه حقاً أو صفة من حقوق أو صفات الألوهية.
فالشيطان الذى يدعو إلى عبادته وطاعته فى الكفر بالله ورسله وفى مخالفة شرعه قد طلب لنفسه حقاً من حقوق الإله الحق، وهو الطاعة المطلقة، فمن أطاعه طاعة مطلقة حتى فى الشرك والكفر وتكذيب الرسل فقد عبده، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس: ٦٠-٦١)
ومعلوم أن أكثر العالم لا يعبدون الشيطان بالصلاة والسجود له أو اعتقاد ألوهيته، بل إنما كانت عبادتهم له بطاعته فى الكفر ويجب التنبيه هنا إلى أن طاعة الشيطان فى المعاصى دون الشرك لا يكون عبادة له، إذ قد خالفه فى أعظم ما يريد وهو الشرك، وطالما قد وجد فى القلب الانقياد الباطن الذى يجعل العبد وإن عصى ربه يقر على نفسه بالظلم ويعترف بالذنب، لم تصبح هذه المعصية عبادة للشيطان تخرج الإنسان من الإيمان إلى الشرك الأكبر، ولقد قال الأبوان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣) فهذا الفرق الهام بين العبادة والطاعة فى غير الكفر يوضح لنا متى يكون الإنسان عابداً للشيطان ومتى لا يكون» اهـ.

من علم الغيب[١]، ومن حكم بغير ما أنزل الله،[٢] ..............................

(1) الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

واقع، ومستقبل، فغيب الواقع: نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل: حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله.

قال الله تعالى ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥)، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمداً ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب؟! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟! فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول، كفروا بهذا القول، وإن قالوا: هو أشرف. فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟! وقد قال الله عز وجل عن نفسه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن: ٢٦-٢٧)، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الانعام: ٥٠).

(2) الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعيهم فقال سبحانه ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١). فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عباداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدى بن حاتم لرسول الله ﷺ إنهم لم يعبدوهم فقال النبى ﷺ «بل إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم».(١٠٠)

إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفى الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

**فأما القسم الأول:**

فمثل قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[النساء: ٦٠-٦٥].

فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

**الأولى:** أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على

---

(١٠٠) **إسناده ضعيف:** رواه الترمذى (٣٠٩٥)، والبيهقى (١٠/١١٦)، والطبرى فى «تفسيره» (١٦٦٤٧)، (١٦٦٤٨)، وابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠٠٥٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٢١٨) (٢١٩)، من طريق عبد السلام بن حرب قال حدثنا عطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدى بن حاتم فذكره. وعبد السلام بن حرب ثقة حافظ له مناكير كما قال الحافظ وعطيف ضعيف لذلك قال الترمذى: «غريب».

حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الاعراف: ٥٤).

**الثانية:** أنهم إذا دعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

**الثالثة:** أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم -ومنها أن يعثر على صنيعهم- جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعماً منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذَّر -سبحانه- هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه -سبحانه- يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، ثم بيَّن أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ أقسم بها قسماً مؤكداً أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

**الأول:** أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ.

**الثاني:** أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

**الثالث:** أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.[١٠١]

---

(١٠١) قال العلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله- في «الصواعق المرسلة» (٣ / ص ٨٢٨): «فأقسم سبحانه بنفسه أن لا نؤمن حتى نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه، فلا يبقى منها حرج، ونسلم لحكمه تسليماً فلا نعارض بعقل ولا رأي ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه» انتهى.

**وأما القسم الثاني:** فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(المائدة: ٤٤)، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥)، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(المائدة: ٤٧)، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة: ٢٥٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(التوبة: ٨٤)، فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

والدليل(1) قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ(2) قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ

---

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أنهم على وجهين:(102)

**أحدهما:** أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل ويعتقدوا تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

**الثاني:** أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال -كذا العبارة المنقولة عنه- ثابتاً لكنهم أطاعوهم فى معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

وهناك فرق بين المسائل التى تعتبر تشريعاً عاماً والمسألة المعينة التى يحكم فيها القاضى بغير ما أنزل الله لأن المسائل التى تعتبر تشريعاً عاماً لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هى من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعاً يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه المسألة أعنى مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التى ابتلى بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع فى الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة -نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم- كما أن على المرء الذى آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

(1) أى على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.

(2) لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ

---

(102) انظر «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص 114-115).

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ(١) فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى(٢) ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وهذا معنى لا إله إلا الله.

وفي الحديث «رأس الأمر الإسلام(٣) وعموده الصلاة(٤) وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله(٥)» (١٠٣) ...............................................

---

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فإذا تبين الرشد من الغى فإن كل نفس سليمة لابد أن تختار الرشد على الغى.

(1) بدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال التخلية قبل التحلية.

(2) أى تمسك بها تمسكاً تاماً والعروة الوثقى هى الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ ولم يقل: (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

(3) أراد المؤلف رحمه الله تعالى الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً، فرأس الأمر الذى جاء به محمد ﷺ الإسلام.

(4) لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام.

(5) أى أعلاه وأكمله الجهاد فى سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد فى سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هى العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره.

---

(١٠٣) رواه الترمذى (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وغيرهما.

**والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.[1]**

---

(1) ختم شيخ الإسلام محمدبن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمدﷺ وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلق بها فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب، وأن يجعل لنا نصيباً من أجرها وثوابها، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * *



# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |